في ذكرى أربعين غازي في باريس

مصرع الصقر

للأستاذ أمجد الطرابلسي

أقبل الليل من وراء الدهور ... بتهادى تهادىَ المخمور
ودعا الغابَ فاستكانَ إليه ... وسرت فيه رعشةُ الفرور
وسجا تحت جنحه يعبث النو ... م بأجفانه كطفل غرير
مثلما نام أزغبٌ تحت جنح الأ ... م في ظل عشه المضفور
أقبل الليل مثل أجنحة العقبا ... ن أو وجه بائس مقهور
يسحب الخطو متعباً وبجر الذ ... يل جراً على بقايا النور
وغفا الغابُ لا زئيرُ سباعٍ ... يتعالى ولا هتافُ طيور
ليس إلا النسيم يخطرُ هوناً ... خضل العطف مُثقلاً بالعبير
يتثنى وسط السكون مطيفاً ... بيشاشٍ هنيئةٍ ووقور
كطيوف الأحلام ترى خفاقاً ... حول عذراء في المهادِ الوثير
يمسح الأعينَ الضياءَ رفيقاً ... ببلال الندى ونشر الزهور
ويهزُّ الغصونَ حيناً فلا تسـ ... ـمع في الجو غيرَ خفق الطير
رقدَ الغابُ في حمى الليل عيا ... نَ يشبُّ الكوى بطرف قرير
وتلاقى الألافُ فيه على الصفـ ... ـور وناموا عن كامن المقدور
رقد الغاب كله غيرَ عينين تشعّانِ في الدجى المنشور
شردَ النومُ عنهما في الدياجي ... فهما للسهاد والتفكير
تستفان مخبآتِ الليالي ... وتفيضان حالكاتِ الستور
يا فتيَّ الصقور! أيُّ مرام ... يتنسباكَ يا فتيَّ الصقور!
لفَّ هذا الظلامُ أترابكَ الصيـ ... ـدَ ببردٍ من غبطةٍ وسرور
أسلموا الأعينَ القريرةَ للحلـ ... ـم وناموا عن كامنِ القدور
وسهرتَ الظلامَ في ذروة الدو ... حِ تديرُ الأحداقَ في الديجور
ترمقُ الغابَ تارةً فتراه ... غارقاً في سكونهِ والسطور
وتناجي السماء حيناً فتبيـ ... ـك الدراريُّ بالحديثِ المثير

* * *

جرد الصقر حوله من بياض الثلج ... جُنحين في ائتلاقِ الثغور
وانبرى في الفضاء يخترقُ الليـ ... ـلَ بسيفيه كالشهاب المنير
زفَّ كالبرقِ واعتى بعده الغا ... بُ وراء المدى وخلفَ البحور
ومضى في السماء يسمو إلى النجـ ... ـم بعزمٍ وسطَ الظلامِ منير
أين تسمو يا صقر في حلكةِ الليـ ... ـل، وماذا يغريك بالتشمير؟
ما الذي نفَّر الرقادَ وأذكى النـ ... ـارَ حرّى في صدرك المصهور؟
النهايات، يا ربيبَ السمو ... ت، تطوّت لجنحك المحرور
وتوارت عنك الدنى، وتواريـ ... ـتَ بعيداً عن طرفها المحسور
فإلى أين تنطحُ الجوَّ يا صقـ ... ـر وقد آذن الثنا بسفور
وصفا الكونُ ليس تسمع فيه ... غيرَ همس النجوم وسط الخدور
رانياتٍ إليك ترمقن مجنحيـ ... ـكَ الطليقين في الفضاء السحير
يا منيراً على السحاب ترفّقْ ... بجناحيكِ والشهاب الطرير
وبوكرٍ تركتهُ في حمى الفا ... بِ مشوقٍ لعطفكَ المبرور
رقدتْ زُغبُهُ ووليتَ عنه ... نحوَ حلمٍ ضافي الظلال نضير
أين تمضي كالسهم في نسج الأو ... جِ وترقى في المعمعه المهجور
لم تدعْ في العلاء بعدُ مخاراً ... لصقورٍ تسمو ولا لنسور

* * *

يا فتيَّ الصقور قد هبَّت الريـ ... ـح فهلاَّ سمعتَ صوتَ النذير
أعولتْ توقظُ السحاب فتُزجيـ ... ـه على لؤلؤ الدجى المنثور
أي حلم يغريك يا صقر حتى ... تتخطى إليه كلَّ خطير؟
تركب الليل محو مراعبَ الوجـ ... ـه وتغضي عن شرّه المستطير!
يا كبير المنى! أما كلَّ جنحا ... كَ الفتيان في غلاب الأثير؟!
هل لمرماك يا بعيد الأماني ... في الدجى من معرّسٍ أو مسير؟
اسم يا ابنَ الطموح! ما كلُّ صقرٍ ... يطلب العزَّ فوقَ هامِ البدور
ليس كلُّ الشباب يفرح بالمجـ ... ـدِ ويغترُّ بالطموحِ الكبير
اسم حتى يرضى غرورك يا صقـ ... ـرُ بما نالَ من عاش ربَّ الغرور!
الشبابُ العظيمُ لا عاش يا صقـ ... ـرُ قنوعاً يرضى بكلِّ حقير!
الشبابُ الكبير لا كانَ إمّا ... ضمَّ عطفيهِ فوقَ قلبٍ صغير!

* * *

جُنَّت العاصفاتُ واضطرب الليـ ... ـل ودوّى فيه نذيرُ الثبور
وتبارت فيه الأعاصير غضبى ... مُعْولاتٍ تهزُّه بالزئير
تستحثُّ الغيومَ من كلِّ فجٍّ ... كهضابٍ موَّارة وصخور
وترجّى رحبُ الفضاءِ فما فيـ ... ـهِ شعاعٌ لمدلجٍ مستنير
وأفاقتْ عيونُ كلِّ الفجاءا ... ت وماجتْ أرواحُ كلِّ الشرور
وانبرى البرق يصدع الدجية العميـ ... ـاء صدعاً بلمحهِ المذعور
راسماً باللظى على صفحةِ الأفـ ... ـقِ وعيدَ القدرِ المسطور
والرعودُ الغضابُ زلزلتِ الكو ... نَ بصيحاتٍ ثائرٍ بموتور

فهفهت في السماء تنحك للهو
لِ وتُرغى كالشامت المحبور

لحظةً ثم فجّرَ السيلُ دفّا
قاً يجوبُ الدجى رهيبَ الهدير

تتلوّى حبالُهُ بيدِ الريح
وتهمي بلا وَنًى أو فتور

يا لهولِ القضاء خلف الدياجي
والاعيبِ صرفه المستور !...

ساعةً كالوجودِ في طولها الرّ (م) ودنيا العذّبِ المأسور

مزّقَ الفجرُ هولها فتجلّتْ
عن صفاء السنا وحسنِ البكور

وإذا الناب أدمعٌ ومناحا
تٌ على مقرِهِ أمير الصقور

حطمت جُنحه الأعاصير في الليـ
ـل فيا روعةَ الجناحِ الكسير

ثم ألقتْ به الرياح إلى النا
ب فيا لوعة الحمى المنذور ..

* * *

يا ابنةَ المجد والمآثرِ يا بغـ
ـدادُ ! يا مفخرَ الخلود الفخور

وسّدي صقرك الصريع ضريحاً
من جراحاتِ صدرك المفطور

واغمري بالزهور والنار نضراً
قبرَ من عاشَ مُحمّرَ كالزهور

واجعلي رمسَهُ منارَ البطولا
تِ ورمزَ الهدى وكنزَ الشعور

فلقد كان حُلمنا العذبَ نرتو
لِنا وجهِهِ الضحوك البشير

ولقد كانَ قرةً للمآقي
ولقد كانَ خفقةً في الصدور

تتمنّى به القلوبُ تسابيحَ
ويهفو إليـــه كلُّ ضمير

* * *

إيه بغدادُ ! أين مِنّيَ قبرٌ
ضمّ أشلاءَ حُلمنا المذرور ؟!

أنا أبكي له غريباً فتنـــذا
يُبلغُ القبرَ مدمعي وزفيري

في بلاد ، لا القومُ فيها يقوى
فأعزّي، ولا القصورقصوري

ولو أني هناكَ حيثُ فؤادي
هائمٌ وجدهُ وراء البحور

في بلادي وملعبي وظلالي
عندَ أهلي وجيرتي وعشيري

لنثرتُ الزهورَ من صدري الدا
مي على قبرهِ الذكيّ الطهور !

* * *

يا مليكي ! يا سيّدَ الشامِ إرثاً
عن أبيهِ الظفّرِ المنصور

أرأيتَ الشآمَ أذهلها الخطبُ ومادتْ لتيكَ المستشير

أمسكتْ قلبها الطعينَ بكفّيها وصاحت كالصارخِ المستجير

نسيتْ جرحها البليغَ المدمّى وشكايات صدرِها المصهور

ونيوبَ الدخيلِ تفتكُ فيها فتكةَ الذئب بالفريصِ الأسير

وتلوّتْ عاولةَ الشعرِ تبكي في مناحاتِ حُلمِها المقبور

طالما تجمّعتْ لك الزهرَ النضـــ ـرَ وهامتْ على ضفافِ الغدير

وقضتْ ليلَها تصوغُ لثاثا
جَ وتحتي في قيدها المجرور

لم تكن وهي تنسجُ التاجَ تدري
أنّ مَنْيَ آمالها في البكور !

لهفَ نفسي يا شامُ يا ملعبَ الأبـــ ـطالِ، يا مسرحَ الحسان الحور!

يا نشيدي في غربتي ولحوني !
يا حديثي في وحدتي وسميري !

أيّ أشجاني الدواي أناغي
في الليالي وفي رُقادي النفور

تضحكُ الأرضُ والموالمُ حولي
وأنا في مواجعي وسعيري

كم أتتْ بي إليكِ أخيلتي الهو
جُ سراعاً في زحفها والكرور

تتخطى المدى فلا الموج يعتا
قُ سُراها، ولا لهيب الهجير

يجنا حَيْن من هواىَ وإشفا
قي شديدَيْن في اختراق الأثير

يا بلادي موجي على نغم الهوْ
لِ وغنّي وسْط الدمّ المهدور

واضحكي للعصاب يقتحم النا
بَ عسيراً على العصاب العسير

أنا أبكيكِ إذْ أهدهدُ بغدا
دَ وأرثي لجنحكِ الكسور

أنتما في الصفاء والدمع أختا
نِ رَبيبا تمائم وحجور

ضمّ شملَيكما طموحٌ وآلا
مٌ وأمجادُ أعصرٍ ودُهور

* * *

يا فقيداً بكى لمصرعه العُرْ
بُ بدمعٍ ملء الجفون غزير

وحدةُ العرب كم سهرت تناجـــيها شوقاً لفجوها المنظور !

كم أقضّت جراحةُ العرب جنبيـــك على مَهدك الهنيّ الوثير

وشهدتَ الوعيدَ في أعين الذئـــب وكنتَ النميرَ خيرَ نصير

ثم قريراً فوحدةُ العُرب صارت
بسناها النجومُ كلُّ مسير

وحدةُ العرب قد تضوّعَ في الجوّ
شذاها مثلَ الخيال النضير

وحدةُ العرب مزّقتْ حجبَ الليـــل وشعّتْ ملءُ الفضاء المنير

ملأتْ شمسُها النهارَ فتذا
ينكرُ الشمسَ غيرُ كلّ ضرير؟

يا لهزلِ المستعبدين ! أكلّا
بأنِ أن ينظروا بعينٍ بصير

عبثوا والزمانُ جدٌّ وهاموا
في سَواى حُلمٍ لهم مغرور

وأقاموا الحدودَ بينَ الأشقّا
ء، فياحكمةَ العقول الصُور..!

أيها الساهرون للكيد في دُهْـ
ـمِ الليالي ... يا خيبةَ التدبير!

قلّبوا الرأيَ كيفَ شئتم خداعاً
واشتروا كلَّ خائنٍ مأجور

وابذلوا الوعدَ كاذباً، واقتلوا الحـــق، وغشّوا الضحى بليل الزور

لن تنالوا المنى ولو قد أقمتم
ألفَ سورٍ وراءها ألفُ سور !

* * *

أيها العربُ حيث كنتم من الأر
ض، ومن كلّ مربضٍ وعشير

جمعتنا الدموعُ في مأتم الصقـــ ـر، وكم وحّدَ الأسى من شعور

وبكينا حيناً ولا خيرَ في الدمـــع إذا لم يثر بشكاة الصدور